الراهب المتمرد

الراهب :

أيها الكاهنُ شاقتنى الحياهْ ... وسئمتُ العيش فى جوف الفلاهْ
أبعدِ المزمارَ عنى ساعةً ... أيها المفنى شبابى فى الصلاه
واتركِ القلبَ على أهوائه ... لاتضيِّعْ ما تبقى من صِبَاه
طال باسم الله ما عذَّبْتَهُ ... ذلك التعذيبُ لا يُرضى الإلَهْ!

• • •

خلِّنى يا كاهنَ الدير إلى ... نضرةِ الأيام اجتاز القفارْ
أنت أفنيتَ شباباً راحلا ... لم أمتِّعْ فيه ليلاً من نهار
اجَلالٌ فى صلاتى ؟ نَحِّهِ ! ... أوَقارٌ ؟ ما لمثلى والوقار ؟
أ إلى النار إذا عِفتُ الشقَى ؟ ... إنها أهْوَنُ من طول اصطبار !

• • •

كلما فاضَ الأسى علَّمْتَنى ... أيها الكاهنُ يوماً بالثوابْ
فَلْتَحُلْ أخْرَاكَ عنِّى ، إنها ... عالم الشك ودنيا الارتياب
سوف ألقَى سَرْمَدَ النومة فى ... ظُلمةِ الرمْسِ فأرثى للشباب
وعلى الخالَين تهْنى ساعة ... فى نعيم — وخلوداً فى عذاب !

• • •

أيها الجانى على قلبى الصغيرْ ... أنا فى شكٍّ من اليوم الاخيرْ

هَبْهُ - إنْ لاقيتُ حتفى - لم يكُنْ ؟ فانا الباكى على عمرى القصير
أكبرُ الظنِّ إذا آذننى هاتفُ الموت وناداني النذير
سوف يدوى ضَحِكُ الأيام فى أذُنى - إذْ كنتُ فى لدير غرير !

* * *

إنَّمِدْ يا كاهنَ الديرِ الذى يُنكر الدنيا ويخشى الموعدا
بين جَنْبَيْنَا قلوبٌ خَفَقَتْ للجمال العبقريِّ المُفْتَدَى
فاذا اللهُ — كما قلتَ لنا — خَلقَ الناس لتقوى وهُدَى
لا لُحبٍّ وجمالٍ وهوًى أترَاه خَلَقَ الحسنَ سُدَى ؟!

* * *

ما ذواتُ الحسن إلاَّ آيةٌ من إلهى وشُعَاعٌ مِن سناهْ
فاذا نَعْبُدُ لحسناء فلا فتنةً فيها ولكن فى الاله
والهوَى خيرُ العبادات فلا تُثقل القلبَ بصومٍ وصلاه
انما الحسناء فى فتنتها هى ظل الله فى تلك الحياه !

* * *

عند ما تَدْوى نواقيسُ الرَّدَى فتلبيها الجموعُ الزاخرهْ
حيث نَلْقَى الموتَ فى كهفٍ له أشفقتْ منه العظامُ الناخره
يُشرف الكون علينا ساخراً من أمانينا الكِذَاب الساخره
فكأنَّا نكر الدنيا على أَملٍ ذى ريْبَةٍ فى الآخره !

* * *

فاذا أخطأ ظنّى وانتهتْ كلّ نفسٍ لنعيمٍ أو جحيمْ
هل لمثلى أنْ يرى النار قَذى وهى وَعْدُ الغيد والحسن الرحيم ؟
أو يرى الجنة نعمَى — وبها كاهنٌ مثلك ذو رأى سقيم ؟
قُوِّلَ الايمانُ ! - دعنى اغتنمْ لذَّةَ الدنيا فنى الدنيا النعيم !

* * *

الكاهن :

يا بُنَيَّ احذرْ إليها سامعاً ... كل ما قُلتَ وحاذر نَقْمَتَهْ
كم ضجيجٍ ضجَّ — مِن قبلُ — فما ... أن أتاه الموتُ حتى أخْفَتَه
إنما الدنيا سرابٌ زائفٌ ... خاله الصادى مُقِلاً نَمْأتَه
حَفَرَ الشيطانُ فيها هُوَّةً ... غُشِّيَتْ بالوردِ فاحذر هُوَّتَه !

* * *

ما مكانُ الفرد فى الدنيا ؟ وما ... قيمة الانسان فى الكون الكبيرْ ؟
صَوْتُكَ الصاخب ما غيَّرَ من ... قوة الله ! ولا هَدَّ المسير !
فاذا آذنَكَ الموتُ انتهَتْ ... نفسُكَ الحيرَى إلى اليوم الأخير
حيث تَلْقَى الله مُجزيكَ بما ... كنت لا تؤمن من قول النذير !

* * *

الراهب :

مَن هو الله ؟ وما صورتُه ؟ ... أهُوَ الشمسُ لظاها وسناها ؟
أنكرَ ابراهام لمَّا أفلتْ ... أن يكون الآفلُ الغاوى إلَها (١)
أهُوَ الأرضُ التى ذلَّلَها ... عملُ الانسان واحتلَّ قواها ؟
أهُوَ البدرُ وما البدرُ سوى ... تابع للأرض ظِلاًّ واتجاها ؟

* * *

أمْ هو الموتُ ؟ وكم بَدَّدَ مِن ... أمَلٍ فينا ! وكم فضَّ سعادَهْ !
وكم امتدَّ إلى مُعْتزلٍ ... أثقلَ الأرض صلاةً وعبادَه !
وكم استكثر لذَّاتِ الدُّنَى ... فأتانا اللحد من بعد الوساده !

---

(١) اشار الى ذلك حافظ ابراهيم فى قصيدته « الشمس » .

يا لقبح الموت ! لا أحسب أن يُسلِسَ المُبدِعُ للقبح قيادَهْ !

• • •

أمْ هو الحسنُ ؟ وقد حرّمتَهُ أيها الكاهنُ فى الدير علىّ
كلما أصغى إلى ترتيلهِ صدّ ترتيلُكَ عنه أذنىّ
وإذنْ فالنارُ مثواكَ فكم سِرتُ للفتنة أدعوها إلىّ
فاذا أدركتُها أدركتنى فنفضناها وأخليتَ يدىّ !

• • •

أم هو الرعدُ ؟ وكم آذننا من سماء الكون بالأمر الخطيرْ
فانتظرنا فرأينا وعده ما بدا منه سوى يومٍ مطير
وتشعّ الأرض بأزهار الرُّبى فأذاعت فى الربى طِيبَ العبير
فهو ربٌّ مازحٌ مستضعفٌ لا يدانى قدرَه لُبّى الكبير !

• • •

أم هو الاعصار فى ثورتهِ طار بالأزهار أو قصّ الشجرْ ؟
أو سطا ظلماً على نافذةٍ أو رمى العابرَ ظلماً بالحجر ؟
فاذا ما أبرق البرقُ انزوى فارقاً يشفق من كيد المطرْ (١)
تحمِهِ عنى فلن أنعتَهُ بالّلهِ ، ذا الآلهَ المحتقَرْ !

• • •

الكاهن :

انتدبْ فى فكرةِ الكون وفى صورة الله وفى دار البقاءْ !
هى أسرار تساوى عندها رأى ذى الجهل برأي العلماء
أيها الحائر فى المرّيخِ هل فيه عيشٌ ونشوءٌ وارتقاء ؟
خالقُ المرّيخ سرٌّ غامضٌ لا تسلْ فى الأرض عن أهل السماء !

(١) اشارة الى سكون العاصفة بتأثير المطر.

« • »

كل ما تعلم من أنبائهم ... مَتَاقَهُ للناسِ أصحابُ الرسالهْ
قَرَؤُوه فى كتابٍ مُنزَلٍ ... يَتَجلىَّ اللهُ كالنور خِلالَهْ
كم رأيتُ الله روحاً طائفاً ... ـ فى صلاتى ـ فتوسَّمْتُ جماله
وتبينْتُ على موكبه ... رونقَ الحق وعنوانَ الجلالهْ

« • »

هو فى النير وفى البيدِ وفى ... سُبُل الدنيا وملء العالمينْ
ملكٌ ما الأرضُ فى دولتهِ ... غير لجمٍ والذي فيها قطينْ
لا ترى الخالقَ إلاّ أنفسٌ ... فنيتْ فى الله والعهدِ الأمينْ
ما أتاها الشكُّ فى سلطانه ... لا ولا تهواه عن غير يقينْ

« • »

الراهب :

انما الله كما صوَّرْتَهُ ... أيها الكاهن ذاتٌ من عيونْ
مُستبدٌّ ... فى يديه قلمٌ ... خطَّ ما كان وما سوف يكونْ
مالنا إنْ أنزلَ الله بنا ... حدَثاً قُلنا طغتْ فينا السنونْ
إنما الطاغى هو الله فلا ... تسكُنى يا نفسُ يوماً للظنونْ

« • »

وإذا الله كما قلتَ لنا ... قدَّر الأعمال فى سِفرِ الأزلْ
كيف يعزو للورى آثامهم ... وإلى النار ... إذا حُمَّ الأجَلْ ؟
هل من الإنصاف أن يأخذهم ... بقضاهُ ؟ لا أرَى اللهَ عَدَلْ !
أيها الكاهن . . . إمَّا خَطَلٌ ... بات فى رأسك . . . أم أنتَ ثَمِلْ !

« • »

الكاهن :

آه من وسوسة الشيطان فى ... أذُنِ الدنيا وأذهان البَشَرْ
طاف بالجنة حيناً وانبرى ... للورَى يُطرى لديهم كل شرّ

ثم ألقى الرحل بالدير فلم تلقه يا صاحِ فى بعض الحذر
ما تقلسفت ولكن فكره كلها إفكٌ وقلبٌ قد كفر

« • »

الراهب :

أيها الكاهن هبنى كافراً قاصرَ العقل دَعِىَّ الفلسفه
لم يهبنى الله تفكيراً به أعرف الله تمام المعرفه
زلةٌ لله لا أغفرها إذ أتانى فكرةً مستضعفه !
كلما أرغب عن إنكاره شاء هذا الضعف أن استأنفه !

« • »

قلتَ لى يا كاهن الدير : « لقد غرَّك الشيطان إذ وسوسَ لك »
من هو الشيطان ؟ لا أعرفه !

الكاهن : هو شرٌّ وقد كان ملك
يتمشَّى بيننا مستخفياً فى مُسوحِ مخفياتٍ كالحلك
يوغر الناس على خالقهم والذى يتبعه منهم هلك

« • »

إنه من زيَّنَ الدنيا لكم فاتبعتُم يا أولى الدنيا هواه
فى حياةٍ أضعفتْ فيكَ الهُدَى حينما أنساكَ ما بعد الحياه !

الراهب (فى ثورة) :

أهوَ الشيطانُ مَنْ زيَّنَ لى هذه الدنيا ؟ إذاً فهو الاله
وعنى رِسْلكَ يا شيخُ ! فما لىَ بعد اليوم معبودٌ سواه

« • »

إيهِ يا شيطانُ يا ربَّ الهوى ! يا إلهَ الدهر ! يا سِرَّ الوجود !
أنا لا أومِنُ بالبعثِ ولا أحسب الرمدَ فى غير اللحود

أنا لا أومنُ بالله الذى قد كفى الكاهن عنه بالخلود
ديرُكَ الدنيا فخُذْنى راهباً ليس لى فى فتنتى منها حدود !

« • »

الكاهن (ساخطاً) :

لعنة الله على شيطانكم

الراهب : تلعن الله الذى نعبدُ ؟ ويْكَ !
قد تجرأتَ على شيطاننا لعنة الشيطان يا شيخُ عليكْ !

الكاهن :

أيها الراهب إنى مشفقٌ لك إنْ تلقَ الردَى من ملكيك
إنَّ مَنْ تعبدُ مخلوقٌ أبى طاعة الله ... فقُمْ وانفُضْ يديك

« • »

الراهب :

هَبْهُ يأبى طاعة الله ... أما قلتَ إنَّ الله يقضى ما يشاءْ ؟
لمَ لا يقضى على شيطاننا ؟ لمَ لا يهديه .... إنْ كان أساء ؟
لمَ لا يردَعُه عن غيِّه ؟ لم لا يُرجعه من حيث جاءْ ؟
يا لهذا الله من مُستضعفٍ كيف ألَّهتَ عليك الضعفاء ؟

« • »

الكاهن :

حكمة الله فى سَبر الهدَى والهوى عند تقيٍّ وظنين
إنما الأنفس من خالقها فوق أرجوحةِ شكٍّ ويقين
دُوَلُ الشيطان فى الشكِّ ومَنْ رجَّح الشك له يومٌ مبين
والذى رجح دولاتِ الهدَى أسعدته النفسُ فى دنياً ودين

« • »

الراهب :

لا أرى للهِ أتباعاً سِوَى قلةٍ لم تَدْرِ ما معنى الحياةْ

« • »

فاشهدْ الشيطان فى موكبه إنْ تنادى لبّت الدنيا نِداهْ
سار فى الأرض وسارت حوله زُمَرُ العالم تُزْرى بالالَهْ
جبروتٌ لستُ أدرى كنهه وجلالٌ لا أرى أين مداه !

الكاهن :

راهبٌ فى الهند ناجَى ربَّه قال يا ربِّ لقد حُيِّرتُ فيكْ !
فأَقِمْ لى آيةً لا ينتهى لمداها الشكُّ حتى أصطفيك
فأجاب الله من عليائه : « آية السابك إبداع السبيكْ »
فانْثِنِ يا راهب الدير ولا تتخذْ لله فى الصنع شريكْ !

« • »

الراهب :

آمَنَ الهندىُّ بالله الذى زعموه ؟ ! ليتنى كنتُ مَعَهْ !
لأُنَبِّى الله عن رأىِ الحِجَى فيه كى يقنعنى أو أُقنعَهْ
سخر الله بذا الهندىِّ . . . يا لغباء الهند أهل الصومَعَهْ !
آيةُ المبدع فى إبداعه ؟ سَلْ إلَهَ الكون عمَّنْ أبدعَه ؟ !

« • »

الكاهن :

ويح نفسى من سؤالٍ لا يُرَدّْ ارتيابٍ ما له فى الكون حَدّْ
ويح نفسى من أضاليل التُّقَى وظنونٍ لم يُبَيِّنْهَا أَحَدْ !
أيها الراهب... إنى حاملٌ شرعة الايمان من غير عُمُدْ
أيها الراهب ... إنى فارقٌ لعبَ الشكُّ بقلبى ثم جَدّْ

« • »

زعموا انّ إلَهى بارئى ومقيمى فى حياةٍ فانيهْ
وادَّعوا انّ الَهى ناشرى ومعيدى لحياةٍ ثانيهْ
فاخو التقوى سيَلْقى جنةً دوحةُ الآمال فيها دانيهْ

وأخو الشيطان فى الأخرى انتحى دارةَ النارِ وبئس الناحيهْ !

« • »

الراهب :

كل ما يُقضىَ على الكونِ جرَى بيدِ الله .... كما قيل لنا
فاذا أفسدَنا شيطانُنا فَنهىَ من قد أفسدت شيطاننا
ثم ألقتهُ الينا فضى ينشر السُّخط عليها بيننا
واذا أَمْدَدَ نفسى مرّةً فلمَ النارُ ؟ وما ذنبى أنا ؟

« • »

الكاهن :

أيُّها الراهبُ قد كشَّفتَ لى حُجُبَ الكون فزعزعتَ اليقينْ
أنت هدَّمتَ بقلبى دولةً شادها الايمانُ دهراً والمينْ
فسلاماً أيها الدير على عهدكَ الماضى . . . وداعاً يا سنينْ
سيقول الناس عنّى . . . قد عصَى طاعة الله إمامُ المتَّقينْ !

« • »

أإذا تدوى النواقيس انتهى ساكنُ الدير إلى محرابهِ ؟
يقطع العمر شقيًّا . . . ويرى لذّةَ الدنيا على أبوابه !
عجباً ! حملت وجْدانى الشّقى وتهلَّلتُ لِمَا أشقى به !
أيها الراهب هيّا . . آنَ أنْ نترك الديرَ إلى أصحابهِ

« • »

(يصيح منادياً رُهبان الدير)

أيها الرهبان : إنْ دَوَّتْ نواقيسُ الصلاهْ
فأعِدُّوا الركبَ للدنيا وغنُّوا للحياهْ
واتركوا الهيكلَ فى الصحراء ينعى مَنْ بناهْ
واعبدوا الشيطانَ فالشيطانُ فى الدنيا إلهْ !

« • »

(ينشق سقف الدير وتنبعث أشعة من النور ثم يهبط ملاك الموت باسطا يده على رأس الراهب المتمرد فيسود السكون)

أنشودة الموت

الراهب :

يا ملاكَ الموت آمنتُ بموتٍ وهجوعْ
يا ملاك الموت آمنتُ ببعثٍ ورجوعْ
يا شعاعاً يكشف الأسدافَ عن عيشى المروع
ورسولاً يبعث الأيمانَ فى قلبى الجزوعْ

« • »

يا ملاك الموت آمنتُ بسلطان الالهْ
أيها الكاهن قُدْنى لمحاريب الصلاهْ
فالهُ الكون يدعونى إلى غير الحياهْ
خلِّنى أفنى الهنيهاتِ البقايا فى هواهْ

« • »

يا ملاك الموت إنْ قابلتَ ربَّ العالمينْ
قُلْ له قد جاءك الراهب مصدوعَ اليمينْ
لابساً فى موقف الموت مُسُوحَ النادمينْ
فلقد علّمتَهُ بالموت ما معنى اليقينْ !

« • »

يا ملاك الموت إنَّ الروحَ كم يخشى مَعادَهْ
ها هو اليومَ إلى بارئهِ يُلقى قيادَهْ
قل لربّى إننى أفنيتُ عمرى فى العبادهْ
لا تُقدِّرْ لى شقاهْ ...لم أذُقْ طعمَ السعادهْ

« • »

(يسقط الراهب ويصعد ملاك الموت بروح الراهب)

« الكاهن والرهبان سجود »

الكاهن :

يا ملاكَ الموت آمنتُ بسلطان الالـهْ !

الرهبان :

يا ملاك الموت آمنّا بسلطان الالـهْ !

صالح جودت

* * *

قرأتُ هذه القصيدة الرائعة لصديقي الشاعر الممتاز صالح جودت .

وصالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجريئين ، الذين لا يبالون فى سبيل الحرية الفكرية بأى عقبة ولا حائل ، وهو لذلك ماضٍ الى الامام دائماً ، مضطردُ التقدم ، وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يضمنا له سبقاً وتجلية فى الميدان الذى اختاره لابداء مواهبه الكبيرة .

سيجد المحافظون فى قصيدة « الراهب المتمرد » لوناً جديداً من التفكير ، وخطوة لم يألفوها فى مواجهة المعضلات التى خشى الناس أن يواجهوها .

وانى لواثق انه سيجد كثيراً ممن يخالفونه ، وما أشبهه فى ذلك بالشاعر شللى ؛ لقد كان فى صباه لا يبالى أن يبدى أفكاره ، ويصرح بعقيدته ، وقد استهدف فى ذلك لغضب كثير من أعز أصدقائه ، ... ولكن الأدب الانجليزى يعدّه من مفاخره اليوم وربما كان الأدب الانجليزى سيذكر له أبداً تلك الجراءة ، وذلك الفكر المتحرر الطليق . فنحن نرحب بصالح جودت ، ونشعر صالح جودت ، ونرجو أن يكون لنا عصبة من أدباء الشباب تذكرنا بشللى وكيتس وتلك الطاقة الرائعة التى بقى عبقها الطيب ناضراً حياً على الزمن ؟

ابراهيم ناجى